نـافـذة

على حساب القيم الجميلة

بين جملة العادات التي اعتادها البعض في الزمن الراهن عادة العناية بالمظهر قبل الجوهر. وقد غدت هذه العادة شبه منهج بين البعض من الناس المهووسين بمظهرهم، لا بما يتحلون به من تداعيات القيم الجميلة التي ورثوها وبدأت تتلاشى مع مرور الوقت في سياق اتساع رقعة التشبه بأصحاب المظاهر.

إن شيئاً من هذا القبيل بدأ يتسرب إلى بيوتنا وحتى إلى أماكن عملنا بفعل انتشار ثقافة الفضاء إن صح التعبير وعلى مدى ساعات الليل والنهار. ومن هنا بدأ أحدنا يتساءل: ترى متى سيتم اكتشاف الترياق الذي يمكن أن يحصّن أبناء الجيل ويجنبهم السقوط في هاوية لا ندري أين نهايتها.

في حال بقيت هذه الثقافة قادرة على التأثير في أوساط الجيل الشاب ستشكل مسألة المظاهر، لا محالة، خطراً محدقاً فيها، ومن الأهمية بمكان أن تعي وسائل الإعلام المرئي تحديداً مسؤوليتها ودورها في إنقاذ ما يمكن إنقاذه مما تبقى في مجتمعنا من تبعات القيم الجميلة التي ورثناها وبدأت تذوي وتتلاشى كما أشرت.

إن الحفاظ على هذه القيم، يقارب الحفاظ على الثروات الدفينة تحت الأرض، كما الحفاظ على متانة الشخصية في مواجهة العادات التي تحاول تشويهها لاعتبارات غالباً لا تندرج في مصلحة صاحبها، بل إلى درجة تجريده من مخزون قيمه التي اعتادها قبل طغيان ثقافة الفضاء عبر الحلقات المتلفزة وفيها، كما نقدّر، ما تعنيه عبارة السم في الدسم كما يقال.

في سياق هذه المسألة، من البديهي أن يشار بالإصبع إلى أكثر من جهة يمكنها التصدي لهذه الموجة، موجة الثقافة التي تتسرب إلى بيوتنا وأماكن عملنا، وبين الجهات المعنية، فضلاً عن المربين في البيت ووسائل الإعلام المرئي تحديداً والمدرسة في نطاق دروسها التوجيهية، قبل أن ترسخ لدى أبناء الجيل طبيعة تلقي ما يأتيهم عبر الفضائية، وتجعلهم يتخلون عما بقي في أوساطهم من قيم كان لها دورها في صقل الأخلاق وتقويمها.

د. اسكندر لوقا

معرض فني جماعي دعماً للجمعية السورية لأمراض الثدي

الفن التشكيلي في خدمة الغايات الإنسانية

سوسن صيداوي

نقطة سوداء ثم تنتشر لتأكل جزءاً وبعدها كل الأجزاء، هذه النقطة تثير الرعب في النفس، فكيف لا وهي خلية المرض الخبيث. إنه يعيش في سكون مطلق، وبعدها في ليلة وضحاها يعلن عن نفسه، السرطان، في الآونة الأخير يُلاحظ تزايد إصاباته في سورية، إذ تشكل الإصابة بسرطان الثدي –على التحديد– ثلث السرطانات التي تصيب السيدات في سورية وتم تسجيل أكثر من ١٢٠٠ إصابة في مركز الطب النووي التابع لجامعة دمشق | ٢٠٠٥. كما أثبتت الأبحاث والدراسات أن الاكتشاف المبكر لسرطان الثدي جراء الفحص الدوري قد زاد من نسبة الشفاء والنجاة لدى المصابات. ودعما للجمعية السورية لأمراض الثدي، شارك ٢٣ فناناً من التشكيليين السوريين في المعرض الجماعي الذي استضافته صالة تجليات، مع الإشارة إلى أن ريع المعرض– المتضمن ٣٥عملاً– يذهب كاملاً لمصلحة مشروع إنشاء مركز صحي جديد للجمعية، وإليكم المزيد.

الغاية نبيلة

خلال افتتاح المعرض شدد معاون وزير الثقافة المهندس علي المبيض في حديثه على أهمية معارض كهذه لكون الغاية تزيد من نبلها متحدثاً «بشكل عام ترعى وزارة الثقافة إقامة هذه النوعية من المعارض، وهذا من ضمن مهامها لكون الفن التشكيلي أحد صنوف الثقافة التي تسعى الوزارة لنشرها ورفع المستوى البصري والسمعي والذائقة الفنية لدى الجمهور السوري، ولكن تزداد أهميتها–للمعارض–عندما يكون هدفها وغايتها نبيلة، كالغاية التي أقيم فيها هذا المعرض لدعم مرضى السرطان ودعم الجمعية التي تسعى للعناية بمرضى السرطان. ولابد من الإشارة إلى أن ما يلاحظ في الآونة الأخيرة هو تزايد عدد المرضى الذين يعانون مرض السرطان بشكل جدّ كبير، وأصبح قضية ملحة الاهتمام بهؤلاء المرضى ورعايتهم ودعمهم نفسيا ومعنويا وماديا.. إلخ، لذلك أنا أرى أن هذا ليس واجب مؤسسات رسمية أو جهات حكومية فقط، بل هو مسؤولية مشتركة، مسؤولية جماعات وجمعيات وأفراد ومؤسسات خاصة ورسمية. والمعرض يأتي ضمن هذا السياق، إذاً التشاركية مطلوبة بل ملحة خاصة بعد الأزمة التي مرّ بها الوطن لإعادة هذا التكافل الاجتماعي الذي يجسده هدف المعرض من حيث بيع اللوحات لمصلحة مرضى السرطان. لذلك إن إقامة المعرض من واجبنا، وأهميته تزداد لأن له غاية أخرى نبيلة».

مشاركة فنان

من جانبه أعرب الفنان التشكيلي وليد الآغا عن ضرورة معارض كهذه وضرورة التشاركية لإبراز الدور الإنساني والعميق الأثر في بناء الشعوب عبر الفن قائلاً «لاشك أن وظائف الفن متعددة وهي ليست فقط جمالية وتربوية ونفسية، بل هناك أيضاً وظيفة أساسية هي تنمية الوعي عند المجتمع، وهذه إحدى أهم الإيجابيات، ومن المعروف أن الفن في كل المجتمعات والبلدان يشكل حالة من الوعي، من أجل بث روح النضال وروح التضحية، وبالنسبة لهذا المعرض ومشاركتنا به كفنانين تشكيلين، أنا أعتبر أن هذا أقل واجب نقدمه كي نؤكد أن الفن قادر على المساهمة بشكل أو بآخر في خدمة المجتمع وهذه من الوظائف الواضحة للفن. وأحب أن أضيف إن الكثير من الفنانين التشكيليين السوريين كانت لديهم الرغبة واللهفة للمشاركة في هذا المعرض، لأنه يخدم قضية إنسانية وتمنّوا حقا الحضور في هذه الحملة، وهذا الأمر يبعث في النفس الغبطة والتفاؤل لأن الزملاء لديهم هذا الحس العالي بالمسؤولية».

مشاركة فنانة

من الأعمال المشاركة في المعرض لوحة للفنانة التشكيلية أسماء فيومي التي أشارت إلى مشاركاتها بشكل دائم وإلى أنها تشعر بالحزن إذ لم يتم تبليغها بكون المشاركة واجبة على كل فنان في خدمة العمل الإنساني المجتمعي فتقول «المعرض مهم وبادرة جميلة من الفنانين للمشاركة الخيرية، وفي الحقيقة هذه ليست مشاركتي الأولى بمثل هذه المعارض، فأنا أشارك بالحملات التي تخص مرضى سرطان الأطفال من أربع سنوات، وأنا حريصة على المشاركة وأشعر بالحزن لعدم تبليغي، فهذه المشاركة تعبّر عن طريقتي كفنانة تشكيلية عبر اللوحة والألوان، والكشف المبكر عن مرض سرطان الثدي مهم جدا ونحن بسورية متقدمون في هذا المجال من حيث التقنيات الموجودة، وأحب أن أشير إلى أن المرض في ازدياد في الآونة الأخيرة في كل العالم، ولكن ما اكتشفته أن كل مصاب بالسرطان هو شخص قوي بل قوي جداً، بل يسعى ويناضل ويكافح في مصارعة المرض والقضاء عليه. أما بالنسبة لدور الفن فدوره فعال في كل المجالات سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أو أخلاقية، وحتى فيما يتعلق في الطفولة، فالفن برأيي هو الطريق الوحيد كي تخلق إنساناً نظيفاً وصافياً، فالشعوب التي تسمع الموسيقا الراقية والهادئة هي شعوب ذواقة، كذلك الأمر بالنسبة إلى عين الإنسان التي ترى اللوحة والألوان من دون أي شوائب بصرية ملوثة، لذلك علينا الآن أن نرعى الفنون لتساهم برقي مجتمعنا الجديد».

الحملة شاملة سورية كلها

بدورها أوضحت سامية الكنج نائب رئيسة جمعية سرطان الثدي أن الفن هو داعم أساسي لخدمة القضايا الإنسانية وهو قادر على توصيل أي فكرة للناس ليشاهدوها بطريقة أفضل وبطريقة أقل جوعا وألما، وتتابع «الجميع ساعدنا لتوصيل أفكارنا ودعمنا، والفنانون العشرون كانوا متعاونين كثيرا وداعمين لحملتنا، وهذا كله بهدف دعم كل السيدات للكشف المبكر عن سرطان الثدي وحماية السيدات وأسرتهم.

وعن ضرورة الكشف المبكر وأهميته تتابع «أنا دائما أسأل في مراكز التصوير وأستفسر حول قدوم حالات من السيدات للكشف المبكر، فيكون الجواب أن الكشف يكون بعد الإصابة، وهذا الأمر مؤسف لهذا نحن نهتم بأن يكون الكشف مبكرا وقبل الإصابة كي يتم تدارك المرض بسرعة، ولهذا هذه المرة الحملة شاملة سورية كلها وهناك عيادات ومراكز لشهر كامل في العيادات العامة والخاصة، ونتمنى أن يصل صوتنا أكثر وأن تتشجع كل السيدات لإجراء الفحص اللازم».

حملة التوعية لشهر كامل

من جانبها أشارت عضو غرفة تجارة دمشق وسيدة الأعمال سونيا خانجي إلى أن التشبيك ضروري بين جميع القطاعات، بين لجنة الكشف المبكر للسرطان وغرفة تجارة دمشق وصالة تجليات، الأمر الذي يعطي الهدف الأساسي الذي تسعى الجمعية إلى تحقيقه الكثير من الغنى والتوسع، وتضيف «نحن منذ نحو أحد عشر عاما نعمل على حملات الكشف المبكر لسرطان الثدي، واستطعنا أن نقدم جهاز الماموغرام إلى المركز الطبي لغرفة تجارة دمشق في منطقة المهاجرين، حيث ساعد الكثير من السيدات على الكشف المبكر للمرض، بسعر رمزي وبإشرف أطباء سوريين مميزين.

أما عن التعاون مع الفنانين كنت طلبت من مجلس غرفة تجارة دمشق أن نقوم بهذا المعرض، فبادر الفنانون إلى تقديم أعمالهم ليكون ريعها للحملة، وحتى صالة تجليات قدمت الدعم الكامل ولم تأخذ أي مقابل مادي، وفي النهاية نتمنى بريع المعرض أن نتمكن من شراء جهاز ماموغرام متنقل ليساعد الكثير من السيدات السوريات على الكشف المبكر عن سرطان الثدي».

الفنان الداعم الأكبر

من جهته بين عمار حسن الناقد التشكيلي والمسؤول الإعلامي لصالة تجليات، أن الأخيرة تدعم دائما النشاطات المجتمعية وهذه ليست المرة الأولى «لقد قمنا بدعوة الفنانين ليقدموا أعمالهم لأجل بيعها، والأمر المفرح أن هناك عددا من الأعمال بيعت بأسعار جيدة لمصلحة الجمعية، والفضل الأكبر للفنان الداعم الأكبر والمساند بنشاطات إنسانية مجتمعية كهذه، وعبر المشاركة يعبر عن أن أعماله ليست فقط للعرض وللتمتع بمنظرها أو لمردودها المادي، بل هي أيضاً تشكل جزءاً من هدف الفنان وغايته لخدمة قضايا مجتمعه ودعمه، وأخيراً الفنانون العشرون المشاركون هم من أهم الأسماء في سورية، هذا والصالة ساهمت عبر تقديمها المكان والإعلانات بالمجان، وأيضاً قدمت عدداً من اللوحات لدعم الحملة».

الحرب الثقافية استهداف لوعي السوريين

هناء أبو أسعد

اللغة والعادات والتقاليد تحدد هوية المجتمع، وتعطيه تلك الصبغة الخاصة به، لذلك يجب علينا الحفاظ على ما هو مفيد من تلك العادات وتطويرها بما يتناسب مع الحداثة لأن التطوّر لا يعني أبداً التخلي عن التراث والعادات والمعتقدات، والحداثة لا تعني التخلي عن ثقافتنا وتراثنا والنفور من عروبتنا والاستهزاء بعقيدتنا وديننا، التطور والحداثة ليسا في قطع حبل السرّة بين الحاضر والماضي، بل بالمحافظة على ما نملك وتحديثه ليتناسب مع العصر الذي نعيش فيه وأخذ ما يناسبنا من ثقافة الآخرين وتجاربهم لنسير نحو التطور والتقدم.

وما من شك بأن الخطر الأقوى على الأمة هو تدمير تاريخها الفكري والثقافي والفلسفي والأخلاقي، فما نشهده اليوم هو أن أنظمة ديمقراطية تنادي بالحرية وحقوق الإنسان، وبالمقابل تتولى تهديد البشرية بالحرب الثقافية إن لم تستطع بالحروب العسكرية، تسيطر على عقول البشر بحرب ناعمة ساكنة، قد لا يشعر بها الكثيرون فهي تعمل كالدبيب في صمت من دون أن ننتبه لها، إنها الحرب الثقافية التي قد تكون في أي مكان نحضر فيه «مدارس– مشاف– دوائر حكومية– دور أيتام– جامعات– معاهد– وحتى والأسواق». تستخدم الثقافة لتغيير أذهان البشر، هي لا تحتاج إلى عتاد حربي من مدافع وطائرات وقنابل ورشاشات، لكنها أشدّ فتكاً ودماراً، لأنها تستهدف المقدسات والعادات والتقاليد واللغة والتراث، جنودها ليسوا ضباطاً عسكريين وقياديين يحملون رتباً عسكرية ونياشين، وإنما كتّاب ومثقفون وأدباء وسياسيون سابقون وعلماء دين وفنانون، ممن يمتلكون شعبية عالية بين الناس. ترسانتها ليست مدافع وصواريخ ولا أسلحة بيولوجية وكيماوية، بل كتب وصحف ومجلات وإذاعات وقنوات فضائية ودور نشر وترجمة وندوات ومحاضرات ومؤتمرات وجامعات ومعاهد ومدارس، ومهرجانات وجوائز فنية وثقافية للترويج لمصطلحات رنانة كـ«الحرية الفكرية – حرية التعبير– حرية الرأي والإصلاح الاقتصادي... وغيرها». وعدونا يكرس موارد واسعة من أجل برنامجه السري للدعاية الثقافية»، يرتكز على الحرية الثقافية وحرية الرأي والتعبير «كما يدعي أيضا». فإنه يحاول دائماً اختراق ثقافة البلدان التي تود السيطرة عليها من خلال إنشاء جمعيات ثقافية وتمويلها بطرق مباشرة وغير مباشرة وتجنيد النخب الثقافية والعلمية للسيطرة على عقولهم وتوجيهها. والهدف الأكبر من وراء ذلك طمس هويتنا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وتراثنا ومعتقداتنا، وتشويه صورة ديننا وانتصاراتنا وأبطالنا وأمجادنا وأجدادنا وتدمير آثارنا وتاريخنا بأكمله وتشويه صورته.

تمويلات ضخمة لتغيير الحقائق

للحرب الثقافية مجالات عديدة ومتنوعة «تعلمية وتربوية وإعلامية وفنية... وغيرها». وخير شاهد عليها ما رأيناه خلال سنوات الحرب من غزو فكري وما نراه مستمراً حتى اليوم، هو الإعلام الموجه الإخباري والفني، فالقنوات الفضائية الإخبارية التي كان لها العامل الكبير في الحرب والقتل والدمار، المدفوعة الثمن التي تنشر كل ما هدفه التدمير والتخريب وتمزيق البلد والتفريق بين أفراد الشعب الواحد، وخاصة الخطاب الطائفي وهو أخطر أنواع الأسلحة.

أما القنوات الفنية التي تعتمد على التعري وإثارة الغرائز والعلاقات الأسرية التي لا تمت إلى مجتمعنا بأي صلة «المسلسلات المدبلجة». فالأعداء يتدخلون في مراحل الإعداد لها بالحذف والتغيير والإضافة وفق إستراتيجية محددة في أذهانهم قائمة على زرع أفكار الكراهية والحقد بين مكونات الشعب السوري، وبين الشعب وقيادته عن طريق تزوير الحقائق واللعب في الإخراج والمكياج وغير ذلك، وذلك بالاستعانة بفنيين عاملين ومخرجين أيضاً مأجورين، حتى يكاد المُشاهد يصدق أن الذي يراه حقيقة وليس صناعة سينمائية وخدعة.

تلك القنوات المأجورة التي يصلها ملايين من الدولارات على مدار الساعة لتبث أفكاراً سامة يريدها العدو الذي يمولها ويمول كل طرف من أطراف الغزو الثقافي «وهذا ما لاحظناه في بداية الحرب على سورية، في نوعية الإخراج والإرسال ومستوى البث الفضائي» كانت تقدم المعلومات والصور إلى المتلقي بعد إجراء التعديلات في النص أو في الصورة بشكل مدروس ومنهجي ما يؤدي إلى تغيير في المفاهيم، وهذا التغيير يقدم واقعا جديداً مزورا لا علاقة له بالواقع الحقيقي، وكل ذلك بهدف خدمة العدو كـ«قنوات الجزيرة والعربية وغيرها....».

أما في مجال التربية والتعليم في المدارس والجامعات، فالحرب الثقافية هنا هي الأخطر لأنها تتعامل مع أطفال وناشئة وشباب، تأتيهم بشعارات خداعة زائفة براقة ينخدع بها الكثيرون، شعارات تنادي بالتطور والحرية الفكرية والديمقراطية والعدالة والإصلاح الاقتصادي وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل، لكنها بالأساس كل تلك الشعارات غطاء لتدمير ممنهج، وهو ما يمكن أن نسميه وضع السم في العسل.

ولنا أن نتصور ما جرى في بلدنا منذ ثماني سنوات من تدمير لكل ما هو حضاري وزرع أفكار هدامة ومصطلحات طائفية مدمرة، وفرض نوعية اللباس ولونه وطريقة العبادة والتدخل في كل ما هو شخصي في المناطق التي سيطرت عليها العصابات التكفيرية، وكل ذلك يؤدي إلى التخلف والانغلاق الثقافي بعكس الشعارات الرنانة التي بدأت فيها حربهم القذرة. فالسيطرة العالمية المعاصرة على المجتمعات تعدت السيطرة العسكرية أو الاقتصادية فقط بل هي نسيج من السيطرة الثقافية، إذ أصبحت نمطية الحياة لدى بعض الشعوب صورة متكررة لشعوب أخرى في فعلها الثقافي على الرغم من أنها لم تخضع لاحتلالها العسكري أو لهيمنتها الاقتصادية.

فمن هؤلاء الذين أتوا إلينا من جميع أصقاع الكون ليروا أن ثقافتنا شر خطير، ويتولوا معاقبتها، ومعاقبتنا؟ ومن هؤلاء الذين تحوّلوا إلى قوّة عظمى، فصاروا يمثّلون الحق والعدالة؟

الثقافة إرث المستقبل واجب علينا الحفاظ عليها

صحيح أن الإنسان لا يحيا بالثقافة فقط، ولكن لا يمكن إغفال دورها في كونها إرث المستقبل وصورته الناصعة التي نصنعها، ولكن كيف السبيل إلى صناعة تلك الصورة والحفاظ عليها؟

من تجارب الشعوب السابقة التي رسمت مستقبلها وعملت على تحويل طموحاتها إلى حقائق وواقع، نستنتج أنه لابد من اتباع المنهج العلمي في تحديد مشكلاتنا القائمة وربما المحتملة والعمل على التنمية المستدامة والدعم الثقافي لجميع المؤسسات لمواجهة تحديات العصر، وصون إرثنا الثقافي الذي تمتد جذوره في الإرث الحضاري للبشرية بأكملها.

فلابد من الحفاظ على اللغة العربية والحديث بها وعدم تحريف أحرفها كما يحصل الآن في العالم الافتراضي بدل الـ«القاف» يكتب «ء» وبدل الـ«ذ» يكتب «ز»، والقراءة المستمرة لكتب الثقافة والكتب التي تهتم باللغة العربية الفصحى والتشجيع على ذلك من الوزارات بعمل مسابقات ثقافية، وخاصة وزارة التربية، لتنشئة جيل واع ومثقف يستطيع الصمود أمام الهجوم الثقافي الغربي.. وحمايته أيضاً من الثقافة الاستهلاكية ومن الجهل. من خلال التربية الوطنية والقيم الإنسانية السامية. هذا الجيل هو الذي سيبني المستقبل ويحافظ على الحضارة والثقافة.

ستبقى سورية مهد الحضارات

الحرب التي استهدفت سورية منذ البداية كانت ثقافية، لأنها استهدفت منظومة الوعي عند السوريين، ونحن في هذه المرحلة بحاجة إلى دعم الثقافة ودعم من يبني العقول ويهتم بثقافة الأجيال، لتبقى سورية مهد الحضارات والعلم والحضارة والانفتاح، فما الثقافة تلك التي تدعو إلى تدمير أوغاريت، وتدمر، ومسرح بصرى الأثري، وقلعة حلب وقصر البنات في الرقة وقلعة صلاح الدين والحصن.... وغيرها. وأي ثقافة تلك تدعو إلى قتل أبي العلاء المعري وأبي فراس الحمداني وبدوي الجبل وعمر أبو ريشة وفارس الخوري وهاني الراهب وفاتح المدرس وسعد الله ونوس ونزار قباني وألفت الادلبي وكوليت خوري وغادة السمان، وسليمان الأحمد ومحمد الماغوط وممدوح عدوان غيرهم...؟ وما تلك الثقافة التي تدعو إلى الطائفية ونبذ الآخر لا بل قتله؟

أين أنتم، يا من تنشرون السم في خطابكم، أين أنتم من سلطان باشا الأطرش«السويداء»، والشيخ صالح العلي «الساحل السوري»، وإبراهيم هنانو «حلب»، وحسن الخراط «دمشق»، والشيخ إسماعيل باشا الرفاعي «حوران» والشيخ بدر الدين الحسيني، ويوسف العظمة، وفارس الخوري..... هؤلاء هم سورية وثقافتها ونحن بحاجة إلى روح هؤلاء، بحاجة إلى ترسيخ ثقافة الأدب والأخلاق والوطنية والانتماء والمقاومة، وثقافة الانتصار على الأعداء، لا ثقافة التفرقة والدمار، والخنوع والاستسلام. ففي حرب تشرين التحريرية شهدنا شعر المقاومة ورواية الحرب وقصص البطولات التي سطّرها الجيشان المصري والسوري، وأقيمت مئات المعارض المحلية والدولية لكشف طبيعة العدوان على شعبنا وشعوب المنطقة التي رسّخت أساسات وقواعد الثقافة الوطنية في سورية ومصر.

الثقافة مثلها مثل علم الفلسفة والمنطق فهي تدخل في شيء وهي صفة تستخدم في جميع الميادين، في الحرب هناك نوع من الثقافة – ثقافة التدمير والانتماء إلى الأعداء، وآخر ثقافة المقاومة والانتصار على الأعداء والانتماء إلى الوطن، ونحن اخترنا المقاومة والانتصار لتبقى سورية مهد الحضارات والثقافات وبوابة إلى التاريخ.

كيف سيتفاعل المثقف العربي مع مستقبل الثقافة في ظل العولمة؟

د. رحيم هادي الشمخي

قديما برر ابن رشد حرق كتبه (لقلة جدواها وضنّ بها على من لا يعرف قدرها بعد موته)، أما هلال الصابئ الذي طلب منه أن يكتب تاريخ بني بويه قال «أباطيل ننمقها وأكاذيب نلفقها».

لا أحد ينكر أن المثقف العربي ما بعد عصر الاستعمار ثم عصر الانهزامات العربية بدأ يمثل دور الوصي على ثقافة المجتمع، وهو الأمر الذي فصله تدريجياً عن الواقع الاجتماعي وأفرغ مكانه، وهو فراغ استغلته فئات محددة من المجتمع، وبذلك امتلأ الفراغ الذي سببه انسحاب المثقف العربي من مكانه أو استقالته من وظيفته ليبرر ذلك بأنه (فقد الأمل) في أي إصلاح سياسي أو اجتماعي وفقد الأمل في (إيجابية المواطن العربي) الذي حطم طموحه النهضوي الفقر والظلم والفساد والبطالة والاضطهاد وسوء التعليم وغياب الحرية والديمقراطية ومثلما فعل ابن رشد عندما أحرق كتبه لأن المجتمع لا يستحقها، انسحب المثقف من هذا الوضع مترفعاً عنه لأن المجتمع لا يستحق وجوده، وظل يراقب المجتمعات العربية وضلوعه تتكسر تحت أثقال تلك الهموم، وترك الساحة للمثقفين الذين يتاجرون بهموم المجتمعات العربية تارة ويزيفون الوعي العربي (بأباطيل منمقة وأكاذيب ملفقة) تارة أخرى، من خلال زراعة اليأس داخل قلوب وعقول المجتمعات العربية وترويج مصطلحات بأنهم مجتمعات متخلفة لا يملكون مقومات النهضة والحرية.

أليس هذا ما قدمه لنا الأدب العربي خلال خمسين عاماً؟!. مجرد تكريس للنظرة السوداوية لأحوال المجتمعات العربية وعيوبه وفضح مستوراته وكشف عوراته، فأصبحت القصائد والروايات (تندب حظ المجتمعات العربية العاثر) وأن القادم ليس أفضل مما كان، ولم يدرك مثقفو العرب أن (اللحظة السيكولوجية) في حياة المجتمعات أمر حتمي مرتبط بلحظة التنوير التي يفجرها صراع (الوجود). وفي كلتا الحالتين كان على المجتمعات العربية أن تعتمد على نفسها للتخلص من ظلم أنظمتها الظالمة والمستبدة من خلال استثمار طاقة الشباب والتقنيات الاتصالية التي صنعت من العالم الافتراضي عالماً نضالياً، وبذلك خرج المثقفون من لحظة التيووء بالثورة والمحرض عليها، أما مشاركتهم فيها فهي (إجبارية) وليست (اختيارية). ولذا يبقى لهم هذا السؤال: كيف سيتفاعل المثقف العربي مع مستقبل الثقافة في ظل العولمة والشرق أوسطية؟!

أعتقد أنها وظيفة متعددة المهام أو الأدوار فوظيفته في وقت العولمة تختلف عن وقت الحروب والسلم والتحولات والتغييرات.

الاختلاف لا أقصد به (تغيير الجلد الثقافي) للمثقف، إنما التفاعل المستمر مع الحدث الاجتماعي وتوجيهه من جانب وقيادة الوعي النهضوي للمتلقي من جانب آخر، ودسترة مدونة التغيير، طبعاً لا أقصد الدسترة بمفهومها القانوني إنما بمفهومها الثقافي أي تحويلها إلى منظومة نسقية ينبني عليها الوعي الاجتماعي، فهو يمثل وظيفة دورين (مرسِل ومرسل إليه)، وتفعيل تلك الوظيفة تحتاج إلى (ذكاء ثقافي).

والعبارة السابقة لا تنقص من دور المثقف بل تزيد من مسؤوليته؛ لأن المثقف (آلة قياس) للمجتمع في ثوراته وحروبه وسلمه وتحولاته وتطوراته. في المبتدأ أعتقد أن الثقافة العربية تعيش الآن في ظل العولمة (أزمة) وفق تفكير أولي قابل للمراجعة والتيقن وحتى على المستوى التقني الأكاديمي رسخ الأدب بأنه (مرآة المجتمع) أو محاكاة للفعل الحاصل لا الفعل الاستحقاقي، لا صانع للمجتمع. وهذا استلاب مستمر لقيمة تأثير الثقافة في صناعة التغيير الاجتماعي والسياسي.